الشيخ نقيب أحمد الديروي شاعراً عربياً

د. حامد أشرف همداني

الأستاذ المشارک، القسم العربي، جامعة پنجاب، لاهور

A PAKISTANI ARABIC POET

NAQEEB AHMAD AL DAIRVI: LIFE AND WORK

Hamid Ashraf Hamdani, PhD

Associate Professor of Arabic

Department of Arabic, University of the Punjab, Lahore

Abstract

The main claim of Naqeeb Ahmad to fame is his commentaries on text books of Arabic and Persian. He is also known as a distinguished teacher of religious sciences. He has penned many books on different topics. But strangely his poetic flare is least known in literary circles. This article deals with poetic aspect of his persona. Naqeeb's poetry is reminiscent of classical Arabic poetry. Besides quotations from poetry of Islamic and pre-Islamic periods, pedagogic tone is strongly felt through his poetry. It is also rich in quotations from the holy Qura'n and the Hadith. The article is incorporated with examples of his poetry dealing various aspects of society of his time.

Keywords: مديرية دير، خيبر بختون خواه، الهند، امداد العلوم، لاهور، الشعر العربي، گلستان سعدی، الشعر البشتوی، الشعر الفارسي، العصر الجاهلی

الشيخ نقيب أحمد بن شريف أحمد ، ولد في قرية "أوج" مديرية "دير" بإقليم الحدود الشمالية الغربية سابقاً وإقليم خيبر بختون خواه حالياً سنة ١٨٩٨م في أسرة علمية ، وينتهي نسبه إلى سيدنا أبي بكر رضي الله عنه. بدأ تعليمه في قريته على يد والده السيد شريف أحمد وعلماء آخرين في منطقته ثم سافر إلى الهند والتحق "بدارالعلوم ديوبند" سنة ١٣٣٩هـ /١٩٢١م، ومكث هناك حتى نهاية عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م. ومن أساتذته: الشيخ المحدث محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ محمد رسول خان الهزاروي، والشيخ أصغر حسين، والشيخ إعزاز علي وغيرهم رحمهم الله تعالى ، سافر بعد ذلك في عام ١٣٤٥هـ إلى "تهانه بهون" إلى الشيخ أشرف علي التهانوي وبايع على يده ولازم صحبته. وقد اختاره شيخه الشيخ أشرف علي التهانوي مدرساً فدرّس في مدرسته "إمداد العلوم" أربع سنوات . ثم استأذن شيخه للرجوع إلى وطنه فرجع إلى وطنه في سنة ١٩٣٠م ولزم التدريس إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى في أكتوبر ١٩٤٩م ودفن في "أوج" قريته التي ولد فيها .

ومن أشهر تلامذته الشيخ عبدالودود القريشي مؤسس الجامعة الأشرفية بمدينة بشاور والشيخ شمس الحق فريد بوري والشيخ عزيز الحق الديوبندي، والشيخ كل محمد السواتي، والشيخ فضل معبود أستاذ قسم اللغة العربية بجامعة بشاور سابقاً .(١)

يبلغ عدد الكتب التي علّق عليها إلى ١٤ كتابًا، ومن أهمها :

- گلستان سعدي بحاشيته في اللغة البشتوية والفارسية وكان يقدر على نظم الكتاب في الشعر البشتوي.

ـ تعليقات على بوستان سعدي.

ـ انشائے دلكشا "الإنشاء الرائع" بالأردية.

ـ سكندرنامه بالأردية وغيرها.

ـ ديوان نقيب أحمد طبع بلاهور تحت إشراف الدكتور فيوض الرحمن.(٢)

شعره العربي

وكان الشيخ نقيب أحمد شاعراً متفنناً يقرض الشعر بالعربية والفارسية والأفغانية. له ديوان مطبوع في الشعر العربي باسم "ديوان نقيب أحمد" والذي يدل على حسن تصرفه في فنون الشعر. طرق أكثر أغراض الشعر العربي، ويمتاز شعره بكثرة التشبيهات ووفرة الصور الخيالية، وسهولة الألفاظ. وفيما يلي نعرض نماذج من شعره:

١ـ قال قصيدة دالية في مدح الرسول ﷺ أولها [الكامل]

بأبي نبياً صاحب الإرشاد هادي العباد لشرعه بسداد

ماالشمس في كبد السماء كوجهه لا البحر يشبهه مع الأزباد

برق تألق نوره محيت به ظلم الضلال وظلمة الإفساد

نور تلألأ شرعه انطمست به آثار كفر من جميع بلاد

من ضوء وجه منيره وصفائه محيت ظلام الشرك والإلحاد

يشفي العليل بقوله وحديثه يشفي الغليل بفيضه وصوادي

فالحق إن نبينا وصفينا شمس الهداية فائض الأرقاد(٣)

والقصيدة طويلة واكتفينا بذكر هذا النموذج.

٢- ومن شعره في قصيدته الشهيرة "أنشودة النقيب في ذكر ديار الحبيب" في مدح النبي ﷺ [الطويل]

لقد شاقني الركب الحجازي غدوة فقلبي لهذا الشوق لازال يطرب
أروح وأغدو ذا حنين وحسرة إذا شمت ركباً غادياً وهو يذهب
فطوبى لزوار المدينة كلهم وأنا بعاد كل بعد وخيب
أيا خير خلق ليس من توسل فكيف إلى حمام بابك أقرب
وإن غبت عنكم لا أبالي فإنه سواء لديكم شاهدون وغيب
فذكرك للعشاق أولى وأطيب وذكرك للمشتاق أحلى وأعذب
هداك هدي خير وحق ورحمة ومن يدعي من غير هديك يكذب
وأنت شفيع الناس هاد لجمعهم وهدياً وسمتاً أنت أعلى وأنجب
يريد ويرجو قطرة من بحاركم نقيب حزين هائم وهو مذنب
عليه صلوة الله توفي بقدره وصحبته والآل مادام يكتب(٤)

٣- ومن أعظم شعره في الغزل قصيدة ميمية رائقة الأسلوب تدل على علو كعبه في الشعر العربي،يستهلها بالتشبيب والغزل ثم ينتقل إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي من القصائد الطويلة نذكر منها هذا النموذج.

[الرمل]

أيها الراقد في لذاته نم هنيئاً إن عيني لم تنم
لاتلوموني على حب الدمى أيها اللوام من أهل التهم
أيها المغرور في لذاته لاتلم فاللوم ضرب من لمم

يـا خـلي القـلـب عن نار الهوى نـم هـنيـئـاً إن عيني لـم تنم
حـر قـلبـي زاد مـن هـجران مـن قـلبـه قـد صار منـي فـي شيم
لاقـنـي يـومـاً حبيبي مسرعـاً قـائلاً يـا لـلنقيـب المحتشم
قـلـت يـا روحـي لـقـد أهلكتني قـال لا تـحـزن بـذا جف القلم
مـالهـذي الـعين تبكي دائـماً مـالهـذا الـدمـع يجري كالديم
يـالـطيف الـخـلـق قتـال الهـوى يـاشـريف الـخـلق ذا البدر الأتم
يـابـديع الـحسـن ذا الوجه الحسن يـانـظير الشـمـس قـلبي يضطرم
مـالـمـن يهـواك سـلـوة ساعـة لازمـان الـبـعـد لا وقـت الأمـم
إن دنـا يبـكـي مـخـافة بـعـده إن نـأى فـالـنـأي قـطـاع النسم
فـاح سـري فـوح مسك بـاديـا مـن جـمـوع جـاريـات والسقم
كيف يـخـفـى مـا بـدت آثـاره مـن هـزاك او شـجـوب أو هـرم
ليـس لـي إخـفـاء مـا تحت الحشا فـاعـتـذرنـي يـالـذيذ الـمبتسم
صـرت مـلـقى في المهالك والنوى مـرّعـمـري فـي الـكبـائـر واللمم
فـأبـلـغـن مـني أيـاريـح الـصبـا إن تسـر يـومـاً إلـى أرض الـحـرم
تـحـفـة ذات الـفـوائـح والشـمـم فـي جـنـاب ذي الـنباهة والشيم
الـنبـي الهـاشـمـي الـمحتـرم ذي الـعـنـاية والـضخـامة والكرم
قـل لـه مـن بـعـد ذاك خـاضـعـاً أيهـا الـفـخـر الأعـارب والعجم
يـرتـجـي مـنـك الـنـقـيب لنظرة لـفتة تـكـفـيـه يـا بـحـر الـكـرم
كـن شـفـيـعـاً حـيـن لا مـأوى لـه يـارسـول الـلّـه يـا كـهف الأمـم

يـــارفيـــع الـــقـدر يـــا خيـــر الـورى　　يـــا أميـــن الـــلّـــه حـفـاظ الـذمـم

يـــا إمـــام الـــمـرسـلين وخيرهـم　　أنـت مـولـى الـخلق أنت المحترم

أنـت شـمـــس أنـت بدر في الورى　　أنـــت نـــورالـلّـــه مـحـاء الـظـلـم

رحـمـــة لـــلـخـــلـق مهـداة لهـم　　قـبـلة مـــن تـــرب أرضك تـغتـنـم

أنـــت ظـلـــي يـــوم لا ظـــل لهـــم　　أنت ساق أنت هاد في العمم (٥)

٤ــ وهذا نموذج من قصيدة أخرى في الغزل يدل على تمكنه من الشعر وذوقه الأدبي الرفيع [الوافر]

حبيبـــي ليـــس مثلك في الـزمـــان　　وأنـت فـريـد دهـرك فـي الـحسان

وخـــدك فـــي الـخـدود نـظـير بـدر　　وقـــدك فـــي الـقـدود شبيـــه بـان

فهـــذا الـــوجـــه أم بـــدر مـــنيـــر　　وهـــذا الـثـغـر أم عـقـد الـجـمـان

وإنك عـــالـــم بـخـفـي أمـري　　أيـحـتـــاج الـعيـان إلـى الـبيـان

ومـــالـي غيـر ذكـــرك قوت نفـس　　ومـــالـي منك من دار الأمـان(٦)

ومن أبياته المخمسة قوله: [الوافر]

كـفـى تـجـريـد مـرء لـلتـحلي　　وذا نـور فيهـدي لـلتـجـلـي

أُعـــاب عـلـى الـتـفـرد والـتولي　　أُلام عـلـى الـتـجـنـب والـتـخلي

فـقـلـــت لهـــم ألا هـذا شـعـاري

رأيـت الـنـاس زيـدًا ثـم عـمـرا　　سهـرت الـعـمـر سهـراً ثـم سهـرا

وطيـــت الأرض وعـــراً ثـم وعـرا　　لـقـد طـوفـت في الآفـاق دهـرا

وجُبـت الـقـفـر والبيـد الصحارى

صمتُّ من البقاع ومن لديها عجمت لها فما أرنو إليها

ودنيا قمصتني حلّتيها وجرّبت البلاد ومن عليها

وميّزت الصغار من الكبار

رأيت بليغهم وكذا فصيحا عرفت حسينهم وكذا قبيحا

ولم أر قط من غمي فتوحا فإني لم أجد أحدًا نصوحا

يقيني من وقوعي في عوار

فلا يستب حين عزبت عنه وليس يمن بي إن طبت عنه

ولا يغتابني إن خبت عنه ولا يغتابني إن غبت عنه

ولا يؤذي إذا هو في جوار

أحبتنا أحباء العطايا وما فيهم خليلٌ ذوالسجايا

حسبتهم صديقي في الهدايا رأيتهم عدوي في البلايا

وأحبابي إذا أنا ذو مهار

وجدت الخير في قطع ومرم فما في الناس من أرباب سلم

ومالي مونس من أهل حلم ولكن الكتاب كتاب علم

سميري في الليالي والنهاري

يعاهدني إذا عصفت همومي ويطربني اذا اشتدت غمومي

ويواسوني إذا نقرت كلومي يواسيني إذا هجمت همومي

ويونسني إذا أنا في الدمار

حبيبي مخلصي خلي حميمي رفيقي صاحبي أبداً زعيمي

فيكلوني إذا كلّت نجومي يواسيني إذا هجمت همومي

ويونسني إذا أنا في الدمار

ينـــاديني إذا أنـا في البرايـا يعـاونني إذا أنـا في المنايا

دليلي في الوساوس والعمايا خليلي في الهواجس والرزايا

أنيسي مونسي حامي الذمار

فـليـــس نـظيره حل لعسري سعود شقاوتي وشفاء صدري

وكـاشف ظلمتي ودواء عسري طـريفي تـالدي وولي إمـري

أحب ذخائري وكذا ضماري

يبـــعد حسرة الحرمان عنـي يـصـــرف ريبة الأزمان عني

يفـــرج شـــدة الأشجان عني يدافع عسكـر الأحزان عني

ويهديني إذا أنـا في السمار

ينشطني إذا ماضقت صدراً ويسعدني إذا مـارمت أمراً

بـــه نـوري إذا مـــا شمت بدراً به سكري إذا ماشئت خمراً

ومـنـــه إفاقتي وبـــه خمار

ولـــومـي أيهـــا الـلـوام رمتـم فيـاعجباً بذلك كيف دمتم

عـذلتـم هـائماً وبذاك قمتم فهـلا أيهـــا الـلـوام لـمتم

خلي القلب من قطب الثمار

ولـي حيـن التخلي من رشاد سكون القلب بعيد من فساد

وأثـــمـــار بعيدة مـن نفاد ثمـار فنون علم باجتهاد

وتـقـريـب لـمـا يـدريـه دار

فتعظيمي من الغارات عندي وتكريمي من العطيات عندي

وتجريدي من القربات عندي حمولي أطيب الحالات عندي

و إعزازي لديهم فيه عاري(٧)

فهذا غيض من فيض و نماذج مختارة من شعره في الأغراض المتنوعة والتي تدل على قدرته على نظم الشعر في أغلب أغراضه، وتظهر في شعره سمة التأثر والتقليد للشعر القديم في العصر الجاهلي والإسلامي ويسوده الطابع العلمي حيث كثر فيه الاقتباس من الكتاب والسنة وشاع فيه التضمين للشعر القديم. كما نلمس في شعره وخاصة أبياته المخمسة بعض ملامح التجديد .

☆☆☆☆☆

الهوامش و المصادر

(١) فيوض الرحمن، الدكتور: مشاهير علماء سرحد. كراتشي: مجلس نشريات إسلام، ١٩٩٨م. ص ٢٦٨ – وعبدالله، محمود محمد: اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخاً. الطبعة الأولى. باكستان: وزارة التعليم الفيدرالية، شعبان ١٤٠٤هـ /مايو ١٩٨٤م. ص ص ٤٤٩–٤٥٠. و– حامد أشرف همداني ، الدكتور: شعراء العربية في باكستان، جامعة بنجاب، لاهور ٢٠١١م، ص ٣٧٢

(٢) فيوض الرحمن، الدكتور: مشاهير علماء سرحد، ص ٢٦٨. و- حامد أشرف همداني ، الدكتور: شعراء العربية في باكستان، ص ٣٧٢

(٣) عبدالله، محمود محمد : اللغة العربية في باكستان، ص ٤٥٠. و- حامد أشرف همداني ، الدكتور: شعراء العربية في باكستان، ص ٣٧٣

(٤) فيوض الرحمن ، الدكتور: مشاهير علماء سرحد، ص ص ٢٧٢-٢٧٣. و- حامد أشرف همداني ، الدكتور: شعراء العربية في باكستان، ص ٣٧٤

(٥) فيوض الرحمن، الدكتور: مشاهير علماء سرحد، ص ص ٢٧١- ٢٧٢ -و عبدالله محمود محمد: اللغة العربية في باكستان، ص ٤٥١. و- حامد أشرف همداني ، الدكتور: شعراء العربية في باكستان، ص ٣٧٥

(٦) عبدالله، محمود محمد: اللغة العربية في باكستان، ص ٤٥١.و- حامد أشرف همداني، الدكتور: شعراء العربية في باكستان، ص ٣٧٦

(٧) فيوض الرحمن، الدكتور: مشاهير علماء سرحد، ص ٢٦٩- ٢٧١. و- حامد أشرف همداني ، الدكتور: شعراء العربية في باكستان، ص ٣٧٨